شخصيات قرآنية

دروس وعبر

تأليف
فضيلة الشيخ : حذيفة بن حسين القحطاني
غفر الله لهُ ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة كتاب: شخصيات قرآنية.. دروس وعبر

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيء، وهدىً ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فإن القرآن الكريم هو المنهج الأقوم، والدستور الأكمل، الذي أودع فيه الله –عز وجل– حكمته البالغة، وآياته البينات. ومن أعظم ما اشتمل عليه هذا الكتاب العزيز: سِيَرُ الأمم الماضية، وقصص الشخصيات التي مرت بامتحانات الوجود، ومواقف الاختيار بين الإيمان والكفر، والهدى والضلال، والخير والشر. فهي ليست مجرد حوادث تاريخية طواها الزمان، بل هي نماذج حية، تتحرك في مسرح الحياة، تعرض تجاربها ومواقفها لتكون عبرةً لأولي الألباب.

لقد جاءت القصص القرآني لتحقيق مقاصد عظيمة، منها: العبرة والاعتبار، وتثبيت قلب النبي ﷺ والمؤمنين، وكشف سنن الله في خلقه في نصرة أوليائه وهلاك أعدائه، وبيان عدله ورحمته، وإقامة الحجة على المخالفين. ومن هنا، فإن دراسة الشخصيات القرآنية ليست ترفاً فكرياً، ولا غوصاً في الماضي لأجل الماضي، بل هي استخراج للكنوز التربوية، واستنباط للقيم الأخلاقية، واستشفاف للحكمة التشريعية التي أرادها الله –تعالى– من عرض هذه النماذج البشرية على اختلاف أنواعها.

يأتي هذا الكتاب "شخصيات قرآنية.. دروس وعبر" محاولةً متواضعة للوقوف على هذه الشخصيات، بعين الاعتبار، وقلب التدبر، وفكر الاستبصار. فهو لا يقتصر على سرد القصة كما وردت فحسب، بل يحاول أن يغوص في أعماقها، ليستخرج الدروس والعبر التي تصلح

أن تكون منارات نهتدي بها في واقعنا المعاصر، ونبراساً نستضيء به في ظلمات الحياة وتحدياتها.

سنقف في هذا الكتاب –بعون الله– مع نماذج متنوعة:

- شخصيات النور والهداية: كالأنبياء والمرسلين، والصالحين من عباد الله، مثل آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومريم ويوسف عليهم السلام، لنستلهم صبرهم وإيمانهم وتضحيتهم.

- شخصيات الظلام والضلال: كإبليس وفرعون وقارون وأبي لهب، لنتعرف على مصادر الغواية، وسمات الطغيان، وعواقب الكفر والاستكبار.

- شخصيات تحولت من الظلام إلى النور: كبلقيس ملكة سبأ، والتي آمنت بسليمان عليه السلام، لنرى كيف ينتقل الإنسان من الضلال إلى الهدى عندما يعرض عن الهوى ويتبع الدليل.

- شخصيات عاشت الصراع بين الحق والباطل في داخلها: كامرأة فرعون وآسية، لنرى نموذج الإيمان في بيئة الكفر، والثبات على المبدأ في أحلك الظروف.

من خلال هذه الدراسة، نسعى لتحقيق جملة من الأهداف، منها:

١. ربط الماضي بالحاضر: بإيضاح أن السنن الإلهية ثابتة، وأن طبائع الناس وأخلاقهم واحدة، عبر الزمان والمكان.

٢. الاستفادة التربوية: بتقديم نماذج عملية للتربية الإيمانية والأخلاقية، نتعلم منها الصبر في الشدة، والشكر في النعمة، والثقة بالله في الملمات.

٣. بناء الوعي الحضاري: بفهم أسباب صعود الأمم وسقوطها، وعوامل قوتها وضعفها، كما تجلت في قصص الأقوام السابقين.

٤. تثبيت القلب وتقوية الإيمان: بتأمل نصر الله لأنبيائه وأوليائه، وهلاك المستكبرين والمكذبين.

إننا إذ نقدم هذا الكتاب، ندرك أن البحر القرآني لا يُستقصى، وأن كل جيل يمكن أن يقرأ هذه القصص فيستنبط منها ما يناسب ظرفه وتحدياته. فهي ليست سرداً تاريخياً مغلقاً، بل هي معين لا ينضب من الدروس والعبر. نسأل الله –تعالى– أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، ونافعاً لعباده، وأن يجعله لبنة في بناء الأمة المعاصرة، لتعود إلى منهج ربها، فتستلهم من ماضيها نوراً لمستقبلها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

فضيلة الشيخ : حذيفة بن حسين القحطاني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

أهمية الموضوع:

تمثل دراسة الشخصيات القرآنية ركيزة أساسية في فهم المنهج الرباني للتربية والتوجيه، وذلك لأهميتها البالغة التي تتجلى في عدة جوانب:

أولاً: تجسيد التجربة الإنسانية في أبهى صورها

فالشخصيات القرآنية ليست رموزاً مجردة، بل هي نماذج بشرية عاشت صراعات الوجود ومواقف الاختيار بين الحق والباطل، مما يجعلها قريبة من واقع الإنسان المعاصر.

ثانياً: منهج تربوي فريد

حيث تقدم هذه الدراسة:

- نماذج عملية للإيمان: كصبر أيوب، وثبات إبراهيم، وإخلاص مريم
- تحذيرات حية من الانحراف: كمصير فرعون في طغيانه، وقارون في استكباره
- نماذج للتحول الإيجابي: كتوبة آدم، وإيمان بلقيس

ثالثاً: استخلاص السنن الإلهية

من خلال تتبع مصائر الشخصيات المختلفة، نستطيع أن نستنبط القوانين الربانية الثابتة في:

- نصرة المؤمنين الصابرين
- هلاك المستكبرين الطاغين
- سنن التمكين والاستخلاف في الأرض

رابعاً: معالجة قضايا الإنسان المعاصر

توفر لنا هذه الشخصيات:

- حلولاً عملية لأزمات النفس والمجتمع
- إجابات على التساؤلات الوجودية الكبرى
- علاجاً لأمراض العصر من مادية وقلق واغتراب

خامساً: بناء الشخصية المتوازنة

من خلال تقديم نماذج:

- متكاملة روحية ومادية
- تجمع بين العبادة والعمل
- توازن بين الحقوق والواجبات

وهكذا تظل الشخصيات القرآنية منارات هداية، ومرايا تعكس صوراً متنوعة من التجارب الإنسانية، تقدم للبشرية دروساً خالدة في الإيمان والسلوك، والعلاقة مع الخالق والمخلوقات.

الباب الأول: الشخصيات النموذجية (أهل الإيمان والقدوة)

الفصل الأول: أنبياء التوحيد والصبر

إبراهيم عليه السلام: أبو الأنبياء ونموذج الثبات على التوحيد

تمثل شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام النموذج الأرقى للعقلية المستنيرة التي تنتقل من التأمل في الكون إلى الإيمان بالخالق، ومن ثم إلى الثبات على هذا الإيمان رغم أعتى التحديات.

قصة التوحيد: من التفكر إلى اليقين

بدأت رحلة إبراهيم عليه السلام باحثاً عن الحقيقة، متأملاً في ملكوت السماوات والأرض، فاستبعد عبادة الكواكب والنجوم والأجرام التي لا تليق بالعبادة لظهور آثار التغير والزوال عليها، حتى انتهى إلى اليقين بأنه (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الأنعام: ٧٩).

كسر الأصنام: منطق التوحيد في مواجهة الخرافة

لم يكتفِ إبراهيم عليه السلام بإيمانه الشخصي، بل انطلق لمواجهة الشرك في عقر داره. حطم الأصنام بفعلته الحكيمة ليُظهر عجزها وعقمها، ثم واجه قومه بحجة باهرة: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ) (الأنبياء: ٦٣). لقد أراد أن يثبت لهم أن هذه الآلهة لا تضر ولا تنفع، ولا حتى تدافع عن نفسها.

الحوار مع النمرود: انتصار الإيمان على الجبروت

عندما ادعى النمرود الألوهية، وقف إبراهيم عليه السلام في مواجهته بحجج قاطعة:

- حجة الخلق والإيجاد: عندما قال النمرود: "أنا أحيي وأميت"، رد عليه إبراهيم بالحجة الأقوى: (فَإِنّ اللّهَ يَأْتِي بِالشّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) (البقرة: ٢٥٨).

- إثبات العجز: فأُسكت الطاغية، وظهر عجزه أمام قوة الحجة والمنطق.

الدروس والعبر:

١. دور العقل في الوصول إلى الإيمان: لم يطلب إبراهيم عليه السلام من قومه الإيمان بغير دليل، بل قدم البراهين العقلية التي تقنع كل صاحب فطرة سليمة.

٢. الثبات في المواقف الصعبة: عندما ألقوه في النار، كان ردّه الواثق: (حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران: ١٧٣). فكانت النار بردا وسلاما عليه.

٣. الحكمة في الدعوة والموعظة: استخدم أساليب متنوعة في الدعوة؛ من الحوار الهادئ إلى المواجهة العملية، مراعياً حال المدعوّين.

٤. التضحية في سبيل العقيدة: ضحى بوطنه وأهله وماله في سبيل إيمانه، وهاجر إلى الله وحده.

٥. القدوة العملية في التربية: دعا ربه أن يهب له ولدا صالحا، فوهب له إسماعيل، ثم امتحنه بذبحه، فكانا معاً نموذجاً للاستسلام والتسليم: (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللّهُ مِنَ الصّابِرِينَ) (الصافات: ١٠٢).

لقد أصبح إبراهيم عليه السلام "أمة قانتاً لله حنيفاً"، نموذجاً خالداً للمؤمن الكامل الذي يجسد التوحيد في عقله وقلبه وسلوكه، فاستحق أن يكون إماماً للناس، وأبا للأنبياء، وقائداً للموحّدين عبر العصور.

موسى عليه السلام: الداعية إلى الحق ونموذج الشجاعة والأدب

تمثل شخصية سيدنا موسى عليه السلام النموذج الأمثل للداعية المجاهد الذي يجمع بين قوة المواجهة ورفعة الأدب، بين الجهاد في ميادين القتال والجهاد في ميادين العلم.

مواجهة فرعون: قوة الحق في وجه الباطل

- الشجاعة في التحدي: وقف موسى عليه السلام، وهو الفتى الهارب من بطش فرعون، أمام أعظم طاغية على الأرض مدعياً الألوهية، ليعلنها صريحة: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى . وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (النازعات: ١٨-١٩). لقد تجلت الشجاعة هنا في مواجهة الظلم والطغيان بالحق والمنطق.

- الحجة والمعجزة: لم تكن المواجهة بالعنف، بل بالحكمة والبيان، مدعوماً بالمعجزات البينات التي أظهرت ضعف آلهة الفراعنة المزعومة.

رحلته مع الخضر: الأدب في طلب العلم

- تواضع العالم: رغم مكانة موسى عليه السلام كنبي ورسول، إلا أنه سمع بعبدٍ من عباد الله آتاه الله علماً من لدنه، فانطلق طالباً للعلم، قائلاً: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف: ٦٦).

- الصبر على التعلم: كانت رحلته مع الخضر عليه السلام درساً في الصبر على تعلم العلم، وفهم الحكمة من وراء الأمور التي تبدو في ظاهرها منافية للصواب.

- الاعتراف بالخطأ: عندما لم يصبر على الأعمال التي رأها من الخضر، اعترف بخطئه وقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (الكهف: ٧٣).

الدروس والعبر:

١. الشجاعة المقرونة بالحكمة: ليست الشجاعة في القوة البدنية فقط، بل في قوة الحجة ووضوح المنطق وثبات القلب في مواجهة الباطل.

٢. فن المواجهة بالحكمة: علمنا موسى عليه السلام كيف نواجه الطغاة بالمنطق والحجة قبل القوة، وبالحكمة قبل المواجهة.

٣. الأدب مع العلماء: إن طالب العلم لا بد أن يكون متأدباً مع معلميه، صبوراً على تعلمهم، معترفاً بفضلهم.

٤. التواضع في طلب العلم: مهما بلغت مكانة الإنسان العلمية، فهناك دائماً ما يمكن أن يتعلمه من الآخرين.

٥. فهم السنن الإلهية: من خلال قصة الخضر، نتعلم أن أحكام الله تعالى قد تخفى علينا حكمها، ولكنها لا تخلو من حكمة بالغة.

٦. العدل والإيمان مصدر القوة: إن قوة موسى عليه السلام لم تكن في عصاه فقط، بل في إيمانه الراسخ بعدل ربه ونصره للحق.

لقد قدم موسى عليه السلام نموذجاً متكاملاً للداعية المجاهد، العالم العابد، القائد الحكيم، والتلميذ المتأدب، فجمع بين قيادة الأمة وتعليم الفرد، بين جهاد الأعداء وجهاد النفس.

يوسف عليه السلام: نبي العفة والصبر الجميل

تمثل شخصية سيدنا يوسف عليه السلام قمة في التوازن بين الجمال الظاهري والباطني، وبين البلاء والصبر، وبين العفة والنجاة، فجاءت سيرته نموذجاً كاملاً للشاب المؤمن الذي يحافظ على دينه في أشد ظروف الابتلاء.

الصبر على الغدر: من القليب إلى العزيز

- غدر الإخوة: تحمل يوسف عليه السلام غدر أقرب الناس إليه، حين ألقاه إخوته في الجب ضياعاً للحب والكرامة، لكنه لم يفقد ثقته بربه.
- العبودية ظلماً: بيع عبداً وهو ابن نبي، فما تغيرت أخلاقه ولا انحرفت فطرته.
- السجن بغير حق: دخل السجن ظلماً بعد أن فضل السجن على الفاحشة، قائلاً: (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) (يوسف: ٣٣).

العفة: الاختبار الأصعب

- امتحان الشهوة: وقف يوسف عليه السلام أمام أخطر امتحان يمكن أن يواجهه شاب في ريعان الشباب، في قصر العزيز، مع امرأة ذات منصب وجمال.
- النفور الأصيل: لم يتردد في رفض الفاحشة، مؤثراً طاعة الله على هوى النفس، ومستعيذاً بالله: (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) (يوسف: ٢٣).
- البرهان على العفة: فضّل السجن على التغطية على الفاحشة، ليكون براءته من عند الله.

الأمانة في الحكم: من السجن إلى الوزارة

- تأويل الرؤيا: لم يستغل علمه لتأويل الرؤيا للتقرب إلى السلطة، بل نصح ونصح حتى وصلت إلى الملك.

- العدل في الإدارة: عندما تسلم خزائن الأرض، لم ينتقم ممن ظلموه، بل عاملهم بالحسنى.

- حسن التدبير: أظهر حكمة بالغة في إدارة أزمة القحط، فكان نموذجاً للوزير الأمين.

الدروس والعبر:

١. الصبر الجميل: لم يشكُ يوسف عليه السلام إلى الناس، بل صبر متوكلاً على الله، محتسباً أجره عنده.

٢. العفة سلاح المؤمن: إن العفة ليست ضعفاً، بل هي قوة نفسية تمكن صاحبها من مقاومة الشهوات.

٣. الأمانة في القوة: عندما يكون الإنسان في موقع القوة، يظهر صدق إيمانه بأمانته وحكمته.

٤. النجاة بعد الشدة: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ (يوسف: ١٨) شعار كل مؤمن في الشدة.

٥. التخطيط والحكمة: جمع يوسف بين التقوى والحكمة العملية في تدبير الشؤون.

٦. العفو عند المقدرة: قابل الإساءة بالإحسان، فسامح إخوته وقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ (يوسف: ٩٢).

لقد قدم يوسف عليه السلام نموذجاً متكاملاً للشاب المؤمن الذي يحافظ على دينه في كل الظروف، من الشدة إلى الرخاء، ومن الذل إلى العز، فاستحق أن يخلد الله قصته: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ) (يوسف: ٧).

النبي محمد ﷺ: المثل الأعلى في الصبر والعفة وحسن التدبير

تمثل شخصية رسول الله ﷺ القمة السامقة في الكمال الإنساني، والمنهج المتكامل في تربية الأمم، فهو النموذج العملي للتطبيق الكامل للقيم التي دعا إليها القرآن الكريم.

الصبر على الأذى والغدر:

- صبره على إيذاء قريش: تحمل ﷺ أشد أنواع الأذى والاضطهاد من قومه، ففي الطائف رُجم حتى سال دمه، وقال: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون".
- صبره على الغدر: تعرض للغدر من اليهود في بني قريظة، ومن المنافقين في المدينة، فكان يعاملهم بالحكمة والرحمة.
- صبره على الفقر والحاجة: عاش ﷺ في فقر مدقع وهو يقول: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً".

العفة والطهارة:

- عفته قبل البعثة: عُرف بين قومه بالصادق الأمين، وكانت سيرته مثالاً للعفة والاستقامة.
- عفته في الشباب: رعى الغنم وعمل بالتجارة، محافظاً على دينه وأخلاقه.

- عفته بعد النبوة: مع كونه قائد الأمة، كان يعيش في بيوت بسيطة، ويقول: "حسبي من الدنيا كزاد الراكب".

الأمانة وحسن التدبير:

- أمانته في الحكم: أسس ﷺ دولة الإسلام في المدينة على أساس العدل والشورى، فكان قدوة في القيادة الرشيدة.

- حسن تدبيره للشؤون: أدار شؤون الدولة بمنهج متوازن، يجمع بين متطلبات الدنيا والآخرة.

- رعايته للمجتمع: وضع ﷺ نظاماً شاملاً لجميع جوانب الحياة، من العبادة إلى المعاملة.

الدروس والعبر:

١. الصبر الجميل: كان صبره ﷺ مع توكل كامل على الله، وثقة بنصره، مع العمل بالأسباب.

٢. العفة الشاملة: جمع ﷺ بين عفة الجوارح وعفة القلب، وعفة اللسان، وعفة المال.

٣. الحكمة في القيادة: قاد ﷺ الأمة بالرفق والحلم، مع الحزم في مواضعه.

٤. التوازن في الحياة: جمع بين العبادة والعمل، والقيادة والأسرة، والدعوة والجهاد.

٥. الرحمة بالخلق: كان ﷺ رحيماً بالصغير والكبير، بالمسلم وغير المسلم.

٦. التخطيط المحكم: في الهجرة، وفي الغزوات، وفي بناء الدولة، كان يتخذ الأسباب مع التوكل.

لقد كان رسول الله ﷺ تجسيداً حياً للقرآن، كما قالت عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن". فسيرته أعظم منهج للتربية والإصلاح، وأكمل مثال للقائد والداعية والإنسان.

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)

(الأحزاب: ٢١)

الفصل الثاني: نماذج نسائية خالدة مريم ابنة عمران: العفة والطهر، الصديقية، التسليم لقدر الله، (الدرس: القدوة في العفاف والعبادة).

مريم ابنة عمران: سيدة نساء العالمين ونموذج الكمال الأنثوي

تمثل شخصية السيدة مريم عليها السلام النموذج الأرقى للمرأة المؤمنة التي جمعت بين طهارة النفس وصفاء الروح وكمال الإيمان، فكانت مثلاً يحتذى به في العفة والعبادة والتسليم لقضاء الله.

العفة والطهر: حصانة النفس والجسد

- النشأة في محراب العبادة: نذرتها أمها لله فقبلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً. تكفلها زكريا عليه السلام، فكانت مثالاً للفتاة التي تربت في محراب العبادة والطاعة.

- التحصين الإلهي: هيأ الله لها أسباب العفة والطهارة، فجعل لها محراباً تعبد فيه وتتقرب إلى خالقها.

- العفة في أعلى مراتبها: عندما بشرها الملك بغلام، كان ردها يعكس شدة حيائها وعفتها: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٠). لقد استعظمت الأمر واستنكرته لعلمها بقوانين الخلق.

الصديقية: كمال الإيمان والتصديق

- المرأة الصديقة: شهد الله لها بالصدِّيقية: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ (المائدة: ٧٥)، فكانت من المصدقين بآيات الله العظيمة.

- التصديق بقدرة الله: حين بشرها الملك، لم ترتاب بل صدقت بقدرة الله المطلقة: (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) (آل عمران: ٤٧).

التسليم لقدر الله: الثقة المطلقة بالرب

- الاستسلام للقضاء: عندما أحست بالطلق، قبلت بقضاء الله مع كل ما فيه من امتحان عظيم: (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا) (مريم: ٢٣).

- الثقة بنصر الله: مع شدة المحنة ووحدتها، لم تفقد ثقتها بربها، فكانت المعجزة: (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) (مريم: ٢٥).

الدروس والعبر:

١. العفة تاج المرأة: علمتنا مريم أن العفة ليست ضعفاً، بل هي قوة نفسية تجعل المرأة في منعة وحصانة.

٢. التربية الإيمانية: إن تنشئة الفتيات في بيئة طاهرة معدة لعبادة الله تثمر أمهات صالحات وقادة مستقبل.

٣. الصبر على الابتلاء: احتملت مريم أشد الابتلاءات بصبر المؤمنات، فكانت عبرة للمعتبرين.

٤. كمال التسليم: علمتنا كيف نسلم أمرنا لله في أحلك الظروف، ونثق بأن فرجه قريب.

٥. العبادة طريق القوة: لم تمنعها عبادتها من مواجهة التحديات، بل زادتها قوة وإيماناً.

٦. القدوة العملية: قدمت مريم نموذجاً للفتاة والمرأة التي تحافظ على كرامتها وشرفها في أقسى الظروف.

لقد سجّل القرآن الكريم سيرة مريم عليها السلام لتكون نبراساً لكل امرأة تريد أن تحقق كمال أنوثتها في إطار العفة والطاعة، فاستحقت أن تكون (اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: ٤٢).

امرأة فرعون (آسيا): الإيمان في معقل الطغيان

وماشطة بنت فرعون: الثبات في ساحة الاستشهاد

تمثل هاتان الشخصيتان نموذجين رائعين للإيمان الذي ينبت في أكثر التربة جفافاً، ويصمد في أقسى الظروف، أن نور الإيمان لا يخبو حيثما وجدت القلوب الحيّة.

امرأة فرعون (آسيا): النور في قصر الظلام

- الإيمان في قلب الطغيان: في القصر الذي ادعى صاحبه الألوهية، وملأ الأرض جوراً وظلماً، ينبثق إيمان امرأته آسيا، لتثبت أن الهداية لا تحجزها الأسوار ولا تمنعها السلطة.
- الدعاء الخالد: بلغت من الثبات مبلغاً جعلها تدعو بدعاء خالد: "رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (التحريم: ١١)
- الثبات أمام التعذيب: رفضت النعيم الزائف في القصر، واختارت العذاب على الكفر، فكانت من "الْمُؤْمِنَاتِ" الذين ضرب الله بهم المثل.

الماشطة وبناتها: الإيمان حتى آخر نفس

- المشهد المؤثر: بينما تمشط جارية ابنة فرعون، سقط المشط من يدها فقالت: "بسم الله"، فسألت الفتاة: "أَلَكِ رب غير أبي؟" فقالت: "نعم، ربي ورب أبيك الله"

- التدرج في التعذيب: بدأ فرعون بتهديدها ثم تعذيبها أمام بناتها، فما زادها ذلك إلا إيماناً.

- الامتحان الأخير: وضعت هي وأبناؤها في نحاس يغلي، فلما همت إحدى بناتها بالبكاء، نظرت الأم إلى السماء بإيمان عميق، فتشجع الولد وقال: "اصبري يا أماه، فإنك على الحق"

الدروس والعبر:

١. الإيمان اختيار شخصي: لا عذر لأحد في اتباع الباطل بحجة البيئة أو الضغوط.

٢. القيمة الحقيقية للإيمان: تفضل آسيا جنة الله على قصور فرعون، وفضلت الماشطة الموت على الكفر.

٣. التأثير الإيجابي: كان إيمان آسيا نوراً في ظلام القصر، وإيمان الماشطة سبباً في هداية بنات فرعون.

٤. ثمار الثبات: "فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ" (الحديد: ١٣)

٥. تربية الأبناء على الإيمان: ضربت الماشطة أروع الأمثلة في تثبيت أبنائها على الحق.

٦. القوة الداخلية: أثبتت المرأة أنها قد تكون أقوى من الطغاة عندما يتسلح إيمانها بالله.

لقد قدّمت هاتان الشخصيتان درساً خالداً في أن الإيمان الصادق لا تقهره القوة، ولا تثنيه السلطة، ولا تفت في عضده الشدائد. فهما خير شاهد على قول الله تعالى: "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ" (هود: ١١٢).

الفصل الثالث: شخصيات في خدمة الدعوة مؤمن آل فرعون: الحكمة في الدعوة، الإنكار بالقلب واللسان، (الدرس: الدفاع عن الحق في أصعب الظروف).

مؤمن آل فرعون: الحكمة في الدعوة والدفاع عن الحق

تمثل شخصية مؤمن آل فرعون النموذج الفريد للداعية الحكيم الذي يستخدم عقله وبلاغته في الدفاع عن الحق في قلب معقل الطغيان، مقدماً درساً في فن المواجهة بالحكمة والموعظة الحسنة.

الحكمة في الدعوة: العقل في مواجهة الجبروت

- الدعوة السرية: بدأ دعوته في القصر الفرعوني متخفياً، يجادل بالتي هي أحسن، مستخدماً لغة العقل والمنطق.
- الحجج العقلية: عندما ادعى فرعون الألوهية، واجهه مؤمن آل فرعون بحجج دامغة: "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ" (غافر: ٢٨)
- المنهج المتدرج: لم يعلن إيمانه جهرة في البداية، بل أخذ يعدّ العدة، ويستقطب العقول، ويستثير الفطرة.

الإنكار بالقلب واللسان: الموازنة بين الواجب والمصلحة

- الإنكار القلبي: عندما كان لا يستطيع المواجهة المباشرة، كان ينكر بقلبه، محافظاً على أصل الإيمان.
- الإنكار العلني عند القدرة: عندما أتيحت له الفرصة، وقف شجاعاً يعلن كلمة الحق في وجه الطاغية.

الدفاع عن موسى: الموقف الشجاع

- الدفاع عن النبي: وقف مدافعاً عن موسى عليه السلام عندما هم فرعون بقتله، محذراً من عواقب هذا الفعل.

- التحذير من عواقب الطغيان: ذكرهم بمصير الأمم السابقة: "وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ . مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ" (غافر: ٣٠-٣١)

- الدعوة إلى النجاة: نصح قومه باتباع الهدى: "وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ" (غافر: ٤١)

الدروس والعبر:

١. الحكمة في الدعوة: الداعية الناجح هو من يراعي ظروف المدعوين، ويخاطبهم على قدر عقولهم.

٢. فن إدارة الحوار: استخدم مؤمن آل فرعون أسلوب الترغيب والترهيب، والمنطق والعقل، والموعظة والتذكير.

٣. المرونة في الأساليب: جمع بين السرية والعلنية، والمواجهة والمداراة، حسب ما تقتضيه المصلحة.

٤. الشجاعة الأدبية: الوقوف في وجه الطغيان يحتاج إلى شجاعة نادرة، خاصة عندما يكون الطاغية هو الحاكم.

٥. الدفاع عن الحق: يجب على المؤمن أن يدافع عن الحق وأهله، حتى لو كانوا من غير قومه أو دينه.

٦. الصبر على الأذى: تحمل السخرية والتهديد، فكان "قَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا" (الأنعام: ٣٤)

لقد خلد القرآن قصة مؤمن آل فرعون ليكون نموذجاً للمؤمن الواعي، والداعية الحكيم، الذي يعرف كيف يوازن بين متطلبات الدعوة وضرورات الواقع، فيدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل بالتي هي أحسن.

لقمان الحكيم: المربي الحكيم ونموذج الوصايا الخالدة

تمثل شخصية لقمان الحكيم النموذج الأمثل للأب الحكيم والمربي الفاضل، الذي جمع الله له بين الحكمة في القول والعمل، فخلّد القرآن وصاياه لابنه لتكون منهجاً تربوياً كاملاً للأمة عبر العصور.

الحكمة والموعظة: أساس التربية

- الحكمة هبة إلهية: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ" (لقمان: ١٢)، فالحكمة هي وضع الشيء في موضعه، وهي نتاج التجربة والإيمان.
- الموعظة الحسنة: اعتمد لقمان في تربية ابنه على أسلوب الموعظة المؤثرة، المقرونة بالحكمة والرفق.

الوصايا التربوية الشاملة: منهج متكامل للحياة

١. الوصية بالتوحيد: بدأ بأعلى المبادئ: "يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" (لقمان: ١٣)

٢. الوصية بالبر بالوالدين: مع التوازن في الطاعة: "وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ... وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي" (لقمان: ١٤-١٥)

٣. الوصية بالمراقبة الإلهية: "يَا بُنَيّ إِنّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبّةٍ مّنْ خَرْدَلٍ" (لقمان: ١٦)

٤. الوصية بإقامة الصلاة: "يَا بُنَيّ أَقِمِ الصّلَاةَ" (لقمان: ١٧)

٥. الوصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ" (لقمان: ١٧)

٦. الوصية بالصبر: "وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ" (لقمان: ١٧)

٧. الوصية بخلق التواضع: "وَلَا تُصَعّرْ خَدّكَ لِلنّاسِ" (لقمان: ١٨)

٨. الوصية بخلق الاعتدال: "وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ" (لقمان: ١٩)

٩. الوصية بخفض الصوت: "وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ" (لقمان: ١٩)

الدروس والعبر:

١. أساس التربية: التوحيد: يجب أن تبدأ التربية بتثبيت عقيدة التوحيد في نفوس الأبناء.

٢. التربية المتوازنة: جمعت وصايا لقمان بين العبادة والأخلاق، والعلاقة مع الله والعلاقة مع الناس.

٣. أسلوب الحكمة في التربية: استخدام أسلوب النصح الهادئ، والخطاب العاطفي "يا بني".

٤. التربية بالقدوة: لم يكن لقمان ناصحاً فقط، بل كان حكيماً في سلوكه قبل قوله.

٥. شمولية التربية: غطت الوصايا جميع جوانب الشخصية: الإيمانية، الأخلاقية، الاجتماعية.

٦. التربية على المسؤولية: تعليم الأبناء تحمل مسؤولية دعوة الخير والنهي عن المنكر.

٧. التربية على الثبات: "وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ" تعليم الأبناء الصبر على مشاق الدعوة.

لقد قدم لقمان الحكيم منهجاً تربوياً متكاملاً، يجمع بين الحكمة في الأسلوب، والعمق في المضمون، والشمول في التغطية، فكان بحق نموذجاً للأب المربي، والمعلم الحكيم، والداعية الواعي.

الباب الثاني: الشخصيات السلبية (أهل الكفر والضلال)

يهدف هذا الباب إلى استعراض الشخصيات التي ضرب الله بها المثل في العناد والكفر، لاستخلاص العبر من عاقبتهم. الفصل الرابع: نماذج الطغيان والتكبر فرعون: الطغيان والادعاء بالألوهية، العناد حتى اللحظة الأخيرة، (الدرس: عاقبة الكبر والاستبداد).

فرعون: الطاغية المتأله ونموذج السقوط الأخلاقي

تمثل شخصية فرعون النموذج الأبرز للطغيان والاستكبار في التاريخ الإنساني، حيث تجسدت فيها كل أمراض القيادة الفاسدة، فجعل الله منه عبرة للعالمين إلى يوم القيامة.

الطغيان والادعاء بالألوهية: ذروة الغرور

- ادعاء الألوهية: بلغ غرور فرعون مداه حين أعلن لقومه: "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" (النازعات: ٢٤)، فكانت هذه الجريمة ضد الفطرة والعقل.
- استعباد الناس: استخدم فرعون كل أساليب الاستبداد لإذلال قومه: "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ" (الزخرف: ٥٤)
- تقسيم المجتمع: اتبع سياسة "فرق تسد": قال تعالى "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا" (القصص: ٤)

العناد حتى اللحظة الأخيرة: الغرور الذي قاد إلى الهلاك

- التحدي المتكرر: رغم كل الآيات والمعجزات، ظل فرعون متكبراً: "فَكَذَّبَ وَعَصَى" (النازعات: ٢١)

- الاستهزاء بالحق: سخر من موسى وقومه: قال تعالى "أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ" (الزخرف: ٥٢)

- الإيمان عند الغرَق: عندما أحاط به الموت، أعلن الإيمان: قال تعالى "آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ" (يونس: ٩٠)

الدروس والعبر:

١. سنة الله في الطغاة: قال تعالى "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ" (هود: ١٠٢)

٢. الغرور طريق الهلاك: كلما تجبر الطاغية وطغى، كان سقوطه أشد وأعظم.

٣. الاستبداد يبدأ بالاستخفاف: يبدأ الطغاة باستخفاف عقول الناس لينتهي بهم إلى استعباد إراداتهم.

٤. التكبر على الخلق مقدمة للتكبر على الخالق: من استعبد الناس سيصل به الأمر إلى ادعاء الألوهية.

٥. الندم عند المعاينة لا ينفع: قال تعالى "فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا" (غافر: ٨٥)

٦. العاقبة للمتقين: رغم كل قوته وبطشه، انتهى فرعون غريقاً حقيراً.

٧. التمكين في الأرض اختبار: قال تعالى "إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ" (القصص: ٨)

لقد جعل الله فرعون "آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" ليعلم كل حاكم أن القوة الحقيقية ليست في البطش والاستكبار، بل في العدل والرحمة، وليعلم كل إنسان أن التكبر على الخلق طريق إلى التكبر على الخالق، وأن عاقبة الطغيان لا محالة هي الهلاك والخسران.

"فَأَخَذْنَاهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ" (القمر: ٤٢)

قارون: الغرور بالمال، الكفر بنعمة الله، (الدرس: فتنة المال وضرورة شكر النعمة)

قارون: المفتون بماله ونموذج الغرور المادي

تمثل شخصية قارون النموذج الصارخ للغنى المادي المنفصل عن القيم الأخلاقية والإيمانية، فجعل الله منه عبرة للمتكبرين بمالهم عبر العصور.

الغرور بالمال: الثراء الذي أعمى البصيرة

- الثروة الطائلة: امتلك قارون من الكنوز ما قال تعالى (إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) (القصص: ٧٦)
- التباهي والمظهرية: كان يخرج على قومه في زينته وبريق ثروته، مفتوناً بما لديه
- الاستعلاء على الناس: قال تعالى (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) (القصص: ٧٩)

الكفر بنعمة الله: نسيان المصدر الحقيقي للرزق

- نسيان فضل الله: ظن أن ما لديه هو نتيجة علمه وجهده فقط
- البخل والأنانية: رغم سعة ثروته، كان يبخل على الناس ويحتقر الفقراء
- رفض النصيحة: عندما نصحه القوم بالاعتدال والتواضع، قابل النصح بالتكبر

الخاتمة المأساوية: من القصور إلى الخسوف

- العقاب الإلهي: قال تعالى (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) (القصص: ٨١)
- تحول المواقف: بعد هلاكه، أدرك الذين طلبوا مكانه حقيقة الدنيا
- العبرة الباقية: قال تعالى (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) (القصص: ٨٣)

الدروس والعبر:

١. المال فتنة واختبار: قال تعالى (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) (التغابن: ١٥)
٢. شكر النعمة واجب: النعم تستمر بالشكر وتزول بالكفران
٣. المسؤولية تجاه المال: المال أمانة يجب أن يستخدم في طاعة الله
٤. التواضع مع الغنى: الغنى الحقيقي هو غنى النفس، لا غنى المال
٥. زينة الدنيا زائلة: قال تعالى (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (الحديد: ٢٠)
٦. البخل طريق الهلاك: كنوز الأرض لا تغني عن عذاب السماء
٧. الاعتبار بمصير السابقين: قال تعالى (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) (الحشر: ٢)

لقد جعل الله قارون آية للمعتبرين، ليعلم الأغنياء أن المال ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة للتقرب إلى الله، وأن الثراء الحقيقي هو ثراء النفس والروح، لا ثراء الجيوب والخزائن.

هامان: وزير السوء وعون الطاغية، (الدرس: خطورة البطانة الفاسدة).

هامان: وزير السوء ونموذج الطاعة العمياء للطغاة

تمثل شخصية هامان النموذج الخطير لأتباع الطغاة وأعوان المستبدين، الذين يسهمون في إضلال الشعوب وإحكام القبضة على رقاب العباد، فجعل الله منه عبرة في القرآن الكريم.

وزير السوء: الآلة التنفيذية للطغيان

- المساعد الأول للطاغية: كان هامان الذراع الأيمن لفرعون في تنفيذ مخططاته الظالمة
- المهندس التنفيذي للاضطهاد: قام ببناء الصروح والمرتفعات: قال تعالى "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ" (غافر: ٣٦)
- المشرف على التعذيب: كان مسؤولاً عن تنفيذ سياسات القمع والتعذيب ضد المؤمنين

عون الطاغية: التماهي مع الباطل

- الاندماج الكامل مع الفكر الفرعوني: تبني مشروع فرعون في ادعاء الألوهية
- الإضافة إلى الطغيان: لم يكن مجرد منفذ، بل كان يضيف من أفكاره وآرائه
- التأييد والدعم المستمر: كان داعماً لفرعون في كل مواقفه وتصرفاته

الدروس والعبر:

١. خطورة البطانة الفاسدة: قال تعالى "وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا" (الكهف: ٢٨)

٢. المسؤولية الأخلاقية للوزراء والمستشارين: ليس العذر في اتباع الأوامر فقط

٣. التبعية العمياء للسلطة تنتهي بالهلاك: هلك هامان مع من تبعه في الباطل

٤. الدعم الإداري للطغاة إثم عظيم: المشاركة في الظلم ولو بالتنفيذ فقط

٥. الوزير الصالح نعمة والوزير الفاسد نقمة: قال تعالى "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" (الأعراف: ١٩٩)

٦. التمييز بين الطاعة في المعروف والمنكر: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

٧. العاقبة السيئة لأعوان الظلمة: قال تعالى "وَحِيقَ بِالْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (الأنعام: ٤٥)

لقد قدم هامان نموذجاً سلبياً للمستشار الفاسد، والوزير المنفذ للظلم، فكان مصيره كمصير من يقدمون خبراتهم وقدراتهم في خدمة الباطل والطغيان. وجعل الله من قصته عبرة لكل من يتولى مناصب المسؤولية، أن يكونوا عوناً على الحق لا على الباطل، وأن يدركوا أنهم شركاء في المسؤولية عن عواقب القرارات التي ينفذونها.

الفصل الخامس: نماذج الغواية والفتنة إبليس: الكبر والحسد، الامتناع عن السجود، الغواية، (الدرس: خطورة الكبر والتعرض لوساوس الشيطان).

إبليس: أبو الغواية ونموذج الكبر والحسد

تمثل شخصية إبليس اللعين النموذج الأبرز للعداوة المستحكمة للإنسان، والتي بدأت من لحظة رفضه أمر الله تعالى بالسجود لآدم، فجعل الله منه عبرة للعالمين في خطورة الكبر والحسد.

الكبر والحسد: الجريمة الأولى

- الامتناع عن السجود: عندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، امتنع إبليس متكبراً: قال تعالى "أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ" (الأعراف: ١٢)
- الحسد لآدم: حسد آدم على ما أعطاه الله من كرامة وتفضيل
- التحدي الصريح: أعلن تمرده على أمر ربه: قال تعالى "قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ" (الأعراف: ١٦)

الغواية: منهج الشيطان في الإضلال

- الوسوسة: قال تعالى "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ" (طه: ١٢٠)
- الوعد الكاذب: قال تعالى "وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" (الأعراف: ٢١)
- التدرج في الإغواء: بدأ بالوسوسة ثم انتهى إلى المعصية

الدروس والعبر:

١. خطورة الكبر: الكبر أول معصية عُصي الله بها، وهو باب كل شر

٢. الحسد مهلكة: الحسد يدمر صاحبه قبل أن يضر أعداءه

٣. العداوة المستحكمة: قال تعالى "إِنّ الشّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتّخِذُوهُ عَدُوًّا" (فاطر: ٦)

٤. الاستعاذة من الشيطان: قال تعالى "وَإِمّا يَنزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ" (فصلت: ٣٦)

٥. اليقظة الدائمة: الشيطان لا ييأس من محاولة إغواء بني آدم

٦. الوسوسة بداية الطريق: المعاصي تبدأ بوسوسة ثم تنتهي بالهلاك

٧. الاعتذار بالباطل: قال تعالى "قَالَ فَبِعِزّتِكَ لَأُغْوِيَنّهُمْ أَجْمَعِينَ" (ص: ٨٢)

٨. المنهج الشيطاني: الكذب – الوعد الكاذب – التبرير الباطل

لقد جعل الله إبليس عبرة للمعتبرين، ليعلم الإنسان أن الكبر طريق الهلاك، والحسد آفة الروح، وأن الشيطان عدو حقيقي يجب الحذر من كيده ومكره. وضرب الله المثل بإبليس ليعلم الناس أن المعصية تبدأ صغيرة ثم تتسع، وأن الاعتذار الباطل لا ينفع صاحبه يوم القيامة.

قال تعالى "إِنّ كَيْدَ الشّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا" (النساء: ٧٦)

أبو لهب وامرأته: مثال السوء في الكفر والإيذاء، (الدرس: عاقبة معاداة الحق وأهله).

بأبو لهب وامرأته: مثال السوء في الكفر والإيذاء

تمثل شخصيتا أبي لهب وزوجته أم جميل نموذجاً فريداً للعداء المستعر للحق وأهله، وقد خصهما الله تعالى بذكر شأنهما في القرآن عبر سورة كاملة تبقى إلى يوم القيامة شاهدة على خزيهما وعاقبتهما.

الكفر والإيذاء: ذروة العداء للنبي ﷺ

- العداء الأسري: كان أبو لهب عم النبي ﷺ، مما يجعل عداءه نموذجاً للعداء القائم على الحقد والعناد لا على الجهل
- الإيذاء اليومي: كانا يشكلان ثنائي إيذاء متكاملاً ضد الدعوة والداعية
- الحملة الشعواء: لم يكتفيا بالصد عن سبيل الله، بل كانا من أبرز المحرضين على النبي ﷺ

صور الإيذاء:

- أبو لهب: التكذيب العلني والاستهزاء بالنبي ﷺ
- امرأته: قال تعالى "حَمَّالَةَ الْحَطَبِ" (المسد: ٤) في نشر الفتنة والوشاية
- الإيذاء المادي والمعنوي: كانا في طليعة المضايقين للنبي ﷺ وأصحابه

الدروس والعبر:

١. قرينة السوء تعين على الشر: كانت امرأة أبي لهب عوناً له على الإثم والعدوان

٢. العداوة للحق تهدر روابط الدم: رغم القرابة، طغى الكفر على روابط الأسرة

٣. العقاب الإلهي في الدنيا مقدمة للآخرة: قال تعالى "سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ" (المسد: ٣)

٤. الاستهزاء بالدعاة طريق إلى الهلاك: قال تعالى "وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ" (الهمزة: ١)

٥. حمالة الحطب صفة لكل من يحطب على الإسلام وأهله

٦. العبرة في نزول سورة بكاملها في شأنهما: دلالة على عظم الجرم

٧. العداء للحق لا ينتهي حتى بالموت: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ" (المسد: ١)

٨. الجزاء من جنس العمل: كما كانا سبباً في تعذيب المؤمنين، كان مصيرهما العذاب الأبدي

لقد قدم أبو لهب وامرأته نموذجاً للمعارضة المليئة بالحقد والعناد، فكانت عاقبتهما خزي الدنيا قبل عذاب الآخرة. وجعل الله منهما عبرة لكل من يعادي الحق ويؤذي أهله، أن مصيره الهلاك والخسران، وأن عداء الحق لا يزيده إلا قوة وانتشاراً.

قال تعالى "إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ" (الحجر: ٩٥)

الفصل السادس: نماذج التحول والانحراف بلعام بن باعوراء: العالم الذي باع دينه بدنياه، (الدرس: آفة علم بلا عمل والابتعاث عن هوى النفس).

بلعام بن باعوراء: العالم المنحرف ونموذج الخيانة العلمية

تمثل شخصية بلعام بن باعوراء النموذج الأليم للعالم الذي انحرف عن طريق الحق بعد أن وصل إلى ذروة العلم والمعرفة، فجعل الله منه عبرة للعلماء والمتعلمين عبر العصور.

العالم الذي باع دينه بدنياه

- ☐ العلم الشريف: كان بلعام من علماء بني إسرائيل، أعطاه الله آياته فانسلخ منها
- ☐ الطلب الملح: جاءه قوم لوط يطلبون منه الدعاء على موسى وقومه
- ☐ الرفض الأولي: رفض في البداية استجابة لضميره وعلمه: قال إِنّ اللّه يأمرُكم بـأَنْ لا تفعلوا
- ☐ الإصرار والإغراء: أصر القوم عليه ورغبوه بالمال والمناصب

الانحراف التدريجي: من العلم إلى الضلال

- ☐ الانقلاب على المبادئ: تنكر لما يعلمه من الحق وارتضى الضلالة
- ☐ الاستجابة للهوى: "فَاتّبَعَ هَوَاهُ" غلب هواه على عقله وعلمه
- ☐ الخيانة العلمية: استخدم علمه في خدمة الباطل بدلاً من الحق

العاقبة المأساوية: مثل الكلب المنسلخ

- الوصف القرآني: قال تعالى "فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ" (الأعراف: ١٧٦)
- الخزي في الدنيا: سقط من أعلى مراتب العلم إلى أحط دركات الحيوانية
- الخسران في الآخرة: قال تعالى "ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا" (الأعراف: ١٧٧)

الدروس والعبر:

١. آفة علم بلا عمل: العلم ليس مجرد معرفة، بل هو التزام وعمل
٢. خطر اتباع الهوى: قال تعالى "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ" (الفرقان: ٤٣)
٣. المسؤولية الأخلاقية للعلماء: العالم مسئول عن علمه أمام الله
٤. الابتلاء بالمال والمنصب: كثير من العلماء يفتنون بالعروض الدنيوية
٥. الانحراف التدريجي: لا يبدأ الانحراف بضربة واحدة، بل بخطوات صغيرة
٦. خيانة الأمانة العلمية: من أخطر أنواع الخيانة
٧. العلم سلاح ذو حدين: يمكن استخدامه في الخير أو الشر
٨. الاستعاذة من العلم الذي لا ينفع: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ"

لقد جعل الله بلعام عبرة للعالمين، ليعلم كل صاحب علم أن العلم أمانة، وأن القلم مسئولية، وأن الشهادات العلمية لا قيمة لها بدون التقوى والاستقامة. وليكون نموذجاً يحذر منه كل من أوتي علماً أن يحافظ على هذا النعمة، ولا يبيعها بعرض من الدنيا زائل.

قال تعالى "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (فاطر: ٢٨)

سامري بني إسرائيل: صانع الفتنة، (الدرس: الحذر من مروجي الفتن والبدع).

تمثل شخصية السامري النموذج الخبيث لمروج الفتن والبدع، الذي يستغل غياب القيادة الواعية ليفتتن الناس عن دينهم، فجعل الله منه عبرة لكل من يحاول العبث بعقائد الناس وشرائع الله.

صانع الفتنة: العبث بالعقيدة

- الانتهازية الخبيثة: استغل غياب موسى عليه السلام عن قومه ليفتتنهم
- التأثير النفسي: عرف كيف يستغل حاجة القوم إلى رمز مادي يتعلقون به
- المهارة في الإغواء: قال تعالى "فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ" (طه: ٨٨)

المنهج الإغوائي: خليط من الحق والباطل

- الادعاء الكاذب: زعم أنه رأى ما لم يروا: قال تعالى "بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ" (طه: ٩٦)
- التلاعب بالمقدسات: استخدم آثاراً مقدسة (أثر الرسول) في صناعة الباطل
- التدرج في الإغواء: بدأ بصناعة العجل ثم نسبته إلى الإله الحقيقي

الدروس والعبر:

١. الحذر من مروجي الفتن: قال تعالى "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" (الأنفال: ٢٥)

٢. البدع مدخل للضلال: كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار

٣. استغلال الفراغ الروحي: الفتنة تنتشر عندما يضعف الوازع الديني

٤. الخداع بالشبهات: يلبس أصحاب الفتن باطلهم بثوب الحق

٥. المسؤولية الجماعية: السكوت عن الفتنة مشاركة فيها

٦. العجلة في التصديق: قال تعالى "وَإِذْ قَالُوا يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً" (البقرة: ٥٥)

٧. التبعية العمياء: قال تعالى "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ" (الزخرف: ٢٢)

٨. العاقبة الوخيمة: قال تعالى "قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ" (طه: ٩٧)

لقد جعل الله السامري عبرة للمعتبرين، ليعلم الناس أن الفتنة تبدأ صغيرة ثم تتسع، وأن أصحاب البدع يظهرون بمظهر المصلحين وهم في الحقيقة مفسدين. وليعلم الدعاة والعلماء أن اليقظة الدائمة واجبة، والحذر من مروجي الشبهات ضرورة، وأن البيان الواضح للعقيدة حصن منيع ضد كل أنواع الفتن والبدع.

قال تعالى "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" (الكهف: ١٠٣-١٠٤)

ملخص الدروس المستخلصة: إيجاز لأهم القيم التربوية والسلوكية التي تم استخلاصها.

ملخص الدروس المستخلصة من الشخصيات القرآنية

أولاً: دروس في الثبات والعقيدة

- ☐ الثبات على المبدأ (إبراهيم عليه السلام): التوحيد فوق كل شيء
- ☐ الإيمان في معقل الكفر (آسيا ومؤمن آل فرعون): لا عذر في اتباع الباطل
- ☐ الصبر الجميل (يوسف عليه السلام): فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

ثانياً: دروس في الأخلاق والسلوك

- ☐ العفة والطهارة (يوسف ومريم): العفة تاج المؤمن والمؤمنة
- ☐ الحكمة في الدعوة (لقمان ومؤمن آل فرعون): الحكمة ضالة المؤمن
- ☐ التواضع (لقمان): وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ
- ☐ الشجاعة الأدبية (مؤمن آل فرعون): قول الحق في وجه السلطان الجائر

ثالثاً: دروس في التربية والأسرة

- ☐ التربية المتوازنة (لقمان): الجمع بين العبادة والأخلاق
- ☐ القدوة الأسرية (الماشطة وآسيا): التربية بالقدوة لا بالقول فقط
- ☐ بر الوالدين (لقمان): وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ

رابعاً: دروس في القيادة والإدارة

- ☐ العدل في الحكم (يوسف عليه السلام): الأمانة في القوة
- ☐ الحكمة في التدبير (النبي ﷺ): التوازن بين الدنيا والآخرة
- ☐ الشورى (النبي ﷺ): وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

خامساً: دروس تحذيرية من الانحراف

- ☐ خطر الكبر (إبليس وفرعون): الكبر أول معصية وعامل الهلاك
- ☐ فتنة المال (قارون): زينة الدنيا زائلة
- ☐ خيانة العلم (بلعام): علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر
- ☐ البدع والفتن (السامري): الحذر من مروجي الشبهات

سادساً: سنن إلهية في التغيير

- ☐ سنة التدافع: وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ
- ☐ سنة التمكين: الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
- ☐ سنة التغيير: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ

سابعاً: دروس في التعامل مع الشدائد

- ☐ الصبر والاحتساب (يوسف ومريم): فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
- ☐ التوكل على الله (إبراهيم): حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

- الأمل والتفاؤل (يوسف): لا تيأسوا من روح الله

ثامناً: دروس في العلاقات الاجتماعية

- العفو عند المقدرة (يوسف): لا تثريب عليكم اليوم
- الرحمة بالخلق (النبي ﷺ): الراحمون يرحمهم الرحمن
- التعاون على البر (مؤمن آل فرعون): الدفاع عن الحق وأهله

تاسعاً: دروس في محاسبة النفس

- المسؤولية الفردية: قال تعالى" كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ
- المراقبة الذاتية: قال تعالى" إِنّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
- محاسبة النفس قبل المحاسبة: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

عاشراً: الخلاصة التربوية

- الوسطية والاتزان: قال تعالى "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمّةً وَسَطًا
- الجمع بين العلم والعمل: إِنّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
- التربية الشاملة: رَبّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً

هذه الدروس تمثل منهجاً متكاملاً للحياة، تجمع بين الثبات على المبدأ والمرونة في الأسلوب، بين القوة في الحق والرحمة بالخلق، بين العبادة والعمل، لتكوين الشخصية المسلمة المتوازنة التي تعبد الله على بصيرة، وتخدم البشرية على هدى.

أثر القصص القرآني: بيان دور القصص في تزكية النفس وبناء الشخصية المسلمة.

يمثل القصص القرآني منهجاً ربانياً فريداً في تزكية النفوس وبناء الشخصية المسلمة المتكاملة، وذلك من خلال آثاره العميقة المتعددة:

أولاً: أثر القصص في الجانب العقدي

- ترسيخ الإيمان: قَصَصُ الأنبياء مع أقوامهم تُثَبِّت اليقين بنصرة الله للحق
- تجسيد التوحيد: قصة إبراهيم في كسر الأصنام تمثل التحرر من الوثنيات
- تعزيز التوكل: قصة موسى مع فرعون تُعَلِّم الثقة بالله في أحلك الظروف

ثانياً: أثر القصص في الجانب الأخلاقي

- بناء الضمير الحي: قصة يوسف مع امرأة العزيز تنمي الوازع الأخلاقي
- تعزيز الصبر: صبر أيوب وأيوب عليهما السلام نموذج للثبات
- تربية العفة: قصة مريم ويوسف تمثلان الذروة في الطهارة

ثالثاً: أثر القصص في الجانب السلوكي

- التوازن النفسي: القصص تعلم الاعتدال في الفرح والحزن
- التخطيط الحكيم: قصة يوسف في تدبير الأزمة نموذج للحكمة
- المرونة الإيجابية: هجرة النبي ﷺ مثال للتكيف مع المتغيرات

رابعاً: أثر القصص في بناء الشخصية الاجتماعية

- التماسك الأسري: قصة يعقوب وأبنائه درس في العلاقات الأسرية

- ☐ التعايش المجتمعي: قصة أصحاب الجنة في سورة القلم نموذج للعدالة
- ☐ القيادة الرشيدة: قصة ذي القرنين مثال للحاكم العادل

خامساً: أثر القصص في العلاج النفسي

- ☐ علاج القلق: قال تعالى {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ}
- ☐ مواجهة اليأس: قصة يونس في بطن الحوت تدعو للأمل
- ☐ التغلب على الخوف: قصة إبراهيم مع النمرود تمثل التحرر من الخوف

سادساً: أثر القصص في التنشئة التربوية

- ☐ التربية بالقدوة: النماذج الإيجابية تشكل مرجعيات سلوكية
- ☐ التحذير من السلبي: نماذج الهلاك رادع عن الانحراف
- ☐ التدرج في التربية: القصص تناسب مختلف المراحل العمرية

سابعاً: أثر القصص في بناء الوعي الحضاري

- ☐ فهم السنن الإلهية: قال تعالى {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ}
- ☐ استشراف المستقبل: العبرة من مصائر الأمم السابقة
- ☐ التواصل بين الأجيال: القصص جسر بين الماضي والحاضر

ثامناً: الخصائص التربوية للقصص القرآني

- الواقعية: شخصيات حقيقية وأحداث واقعية
- التكامل: يجمع بين الروح والمادة، الفرد والمجتمع
- التوازن: بين الترغيب والترهيب، الأمل والخوف
- التكرار: قال تعالى {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ}

تاسعاً: النتائج التربوية

- تشكيل الهوية: بناء الشخصية المسلمة المتميزة
- التزكية المستمرة: قال تعالى {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}
- المناعة الفكرية: الحصانة ضد التيارات المنحرفة
- الاستقامة السلوكية: الاتساق بين القول والعمل

فالقصص القرآني ليس مجرد حكايات تاريخية، بل هو مختبر تربوي حي، ومنهج تطبيقي متكامل لبناء الإنسان الذي يعبد الله على بصيرة، ويقود الحضارة على هدى، تحقيقاً لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّـذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (يوسف: ١١١)

خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ رسول الهدى إلى أهل الأرض والسموات، وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته إلى يوم المقامات.

أما بعد..

فهذه صفحات قد انطوت، وحروف قد اكتملت، حاولت فيها أن أسبر أغـوار الشخصـيات القرآنية، وأستنبط من سيرها ما يعين المسلم على فهم منهج الله في خلقه، ويكون له نبراساً على درب الحياة.

واعتراف بالعجز وتبرؤ من الكمال:

فأنا أعترف بأن الجهد البشري قاصر، والعقل محدود، وأن ما في هذا الكتـاب مـن صـواب فهو توفيق من الله وحده، وما كان فيه من خطـأ أو نقـص أو خلـل فمـني ومـن الشـيطان، وأستغفر الله العظيم منه.

ودعوة للنقد البناء:

لذا أتوجه إلى قرائي الكرام بأن يتسع صدرهم لما قد يكون في هـذا العمـل مـن هفـوات، وأن يشاركوني في تصويبها، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

وكلمة أخيرة:

إن هذه الشخصيات القرآنية لم تعرض في القرآن لمجرد الحكاية، بل هـي دروس عمليـة في كيفية التعامل مع تحديات الحياة، ونماذج حية للصراع بين الحق والباطل، ومناهج تربوية لبناء الفرد والمجتمع.

فالأنبياء قدموا لنا نموذج الثبات على المبدأ.

والصالحون علمونا كيف تكون القدوة في أصعب الظروف.

والطغاة كشفوا عن حقيقة الغرور والاستكبار.

وأصحاب التحول بينوا أن باب التوبة مفتوح.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، ونافعاً لعباده، وأن يغفر لي تقصيري، ويتجاوز عن زللي، وأن يجعله لبنة في بناء الأمة المعاصرة، لتعود إلى قرآنها فتهتدي بهداه، وتستنير بأنواره.

وختاماً:

{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

فضيلة الشيخ : حذيفة بن حسين القحطاني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين